بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت
ولا حول ولا قوة إلا بالله

(فأتبع سببا)
١٤٤٣/١١/٢٥

الحمد لله ، الذي بلطفه تنكشف الشدائد ،
وبالتوكل عليه تندفع كل المكائد ،

* أحمده حمدا كثيرا ، فهو المستحق لجميع المحامد .

* وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده ، لا شريك له ،
هو الإله الواحد .

فيا عجبا كيف يعصى الإله ∴ أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة ∴ وتسكينة أبدا شاهد

* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خيرته دعا إلى الله وهاجر في سبيله وجاهد ،
صلى الله عليه ، وعلى آله الأفاضل ، وأصحابه الأماجد ،
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

almusllim.org

أَمَّا بَعْدُ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ /

وَاسْتَعِينُوا بِهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ،

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾) الممتحنة

عِبَادَ اللَّهِ / نَتَدَبَّرُ الْيَوْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، الَّتِي نَمُرُّ عَلَيْهَا كُلَّمَا تَلَوْنَا سُورَةَ الْكَهْفِ .

* وَلَعَلَّ تَدَبُّرَهَا الْيَوْمَ يُنَاسِبُ دُخُولَ الِامْتِحَانَاتِ الدِّرَاسِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ زَهْرَةُ الْحَصَادِ ، وَمَوْطِنُ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ ، فَهِيَ تَسْتَدْعِي مِنَ الطُّلَّابِ : الْحِرْصَ وَبَذْلَ الْأَسْبَابِ .

* فَقِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ مَلِيئَةٌ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالْجِدِّ ، وَاسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ وَالْجُهْدِ .

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ... ﴿٨٣﴾)

* رَوَى ابْنُ هِشَامٍ : أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثَتِ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ ؛ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ : سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ ، سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ ، مَا كَانَ أَمْرُهُمْ ؟ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ !!

* وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ ، قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، مَا كَانَ نَبَؤُهُ ؟

* وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا ، وَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* وَلَمَّا جَاءَ الْغَدُ ، لَمْ يَأْتِهِ جِبْرِيلُ بِالْجَوَابِ ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، لَا يَأْتِيهِ الْوَحْيُ ، فَأَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ نَزَلَ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الْكَهْفِ ، فِيهَا الْجَوَابُ عَنْ سُؤَالَيْهِ ، وَجَاءَ جَوَابُ السُّؤَالِ الثَّالِثِ عَنِ الرُّوحِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾)

* ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ... ﴿٨٤﴾)

أَيْ سَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَهَمَّ أَخْبَارِهِ ، الَّتِي تُفِيدُ ذِكْرًا وَعِظَةً

almusllim.org

أَيْ: إِنَّا أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا مُتَمَكِّنًا، فَقَدْ كَانَ ذُو القَرْنَيْنِ مَلِكًا صَالِحًا مُؤْمِنًا.

* قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَقَدْ مَلَكَ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ مِنَ الأَرْضِ، وَدَانَتْ لَهُ البِلَادُ، وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ العِبَادِ، وَخَدَمَتْهُ الأُمَمُ، مِنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَلِهَذَا ذُكِرَ أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا القَرْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ (مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا).

* ثُمَّ قَالَ اللهُ: (.. وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾)

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَكَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: أَيْ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَكَانَ عِنْدَهُ اهْتِمَامٌ بِكُلِّ العُلُومِ، وَهَذَا - يَا عِبَادَ اللهِ - يَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ العِلْمِ، وَأَنَّهُ طَرِيقُ السِّيَادَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَسَبِيلُ التَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ.

* ثُمَّ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: (فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾) أَيْ: اسْتَفَادَ مِنْ تِلْكَ العُلُومِ وَالأَسْبَابِ الَّتِي آتَاهُ اللهُ وَاتَّبَاعَهُ إِيَّاهَا، فَكَانَ ذُو القَرْنَيْنِ يَتَوَصَّلُ إِلَى الأَشْيَاءِ بِأَسْبَابِهَا المُنَاسِبَةِ لَهَا،

* وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ وَالبُعْدِ عَنِ التَّكَاسُلِ وَالإِهْمَالِ.

* ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا... ﴿٨٦﴾) هَذِهِ هِيَ رِحْلَتُهُ الإِصْلَاحِيَّةُ الأُولَى إِلَى أَقْصَى المَغْرِبِ، حَتَّى بَلَغَ سَاحِلَ البَحْرِ المُحِيطِ.

* قَوْلُهُ: (... وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) أَيْ: هَذَا وَصْفُ الشَّمْسِ فِيمَا يَرَى النَّاظِرُ كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي البَحْرِ، وَأَمَّا فِي الحَقِيقَةِ، فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ أَكْبَرُ مِنَ الأَرْضِ بِكَثِيرٍ.

* قَالَ اللهُ تَعَالَى: (.. وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾) وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ نَصَرَهُ فِي تِلْكَ الجِهَةِ مِنَ الأَرْضِ، وَمَكَّنَهُ حَتَّى صَارَ لَهُ الحُكْمُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ بِيَدِهِ أَنْ يُعَذِّبَ وَيُبْطِشَ، أَوْ يَعْفُوَ وَيُحْسِنَ. وَلِأَنَّهُ كَانَ مَلِكًا مُؤْمِنًا صَالِحًا اخْتَارَ العَدْلَ: (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾)

almusllim.org

* هٰذا هُوَ مِيزانُ العَدْلِ ، أَنْ يُعاقَبَ الظّالِمُ ، وَيُثابَ المُحْسِنُ .

* وَهٰكَذا ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَساسُ تَعْلِيمِنا وَوَظائِفِنا ، أَنْ نَقُولَ لِلمُحْسِنِ : أَحْسَنْتَ ، وَلِلمُسِيءِ : أَسَأْتَ .

* وَأَنْ تَكُونَ المُفاضَلَةُ حَسَبَ اجْتِهادِ الشَّخْصِ وَمُؤَهِّلاتِهِ ، وَلا يَجُوزُ أَنْ تَتَحَكَّمَ فِي ذٰلِكَ الوَاسِطَةُ أَوِ الرِّشْوَةُ أَوِ الغِشُّ .

معشر المؤمنين / وَبَعْدَ أَنْ قَصَّ اللهُ عَلَيْنا الأَثَرَ الطَّيِّبَ لِذِي القَرْنَيْنِ وَجُهُودِهِ فِي أَقْصَى الغَرْبِ ، أَخْبَرَنا عَنِ امْتِدادِ خَيْرِهِ وَوُصُولِ نَفْعِهِ إِلَى أَقْصَى المَشْرِقِ فَقالَ سُبْحانَهُ :-

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾) أَيْ أَنَّهُ واصَلَ مَسِيرَةَ إِصْلاحِهِ ، فَسَلَكَ طَرِيقَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى المَشْرِقِ ؛ لِيَجِدَ هُنالِكَ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ سِتْرٌ مِنْ دُورٍ أَوْ جَبَلٍ أَوْ شَجَرٍ ، وَقِيلَ : كانُوا لا يَعْلُونَ بُيُوتًا تَمْنَعُ عَنْهُمْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ وَحَرَّهَا .

* قَوْلُهُ : (كَذٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾) (كَذٰلِكَ) أَيْ أَنَّهُ دَسْتُورَهُ فِي حُكْمِهِ تِلْكَ البِلادِ كَدَسْتُورِهِ فِي جِهَةِ المَغْرِبِ ، أَنَّهُ حَكَمَ فِيهِمْ بِالعَدْلِ ثُمَّ قالَ اللهُ : (وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾) الخُبْرُ هُوَ العِلْمُ بِبَواطِنِ الأُمُورِ فَاللهُ عَلِمَ بِنِيَّةِ ذِي القَرْنَيْنِ الصّالِحَةِ ، وَأَعْمالِهِ الحَسَنَةِ ، فَكَتَبَ لَهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ ، وَدانَتْ لَهُ البِلادُ وَخَضَعَ لَهُ البَشَرُ .

* وَصَدَقَ مَنْ قالَ : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ ، أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ، كَفاهُ اللهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّاسِ ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ ، كَفاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْياهُ .

* اللّٰهُمَّ اجْعَلْ سَرائِرَنا خَيْرًا مِنْ عَلانِيَتِنا ، وَاجْعَلْ عَلانِيَتَنا صالِحَةً يا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرامِ .

* أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ .

almusllim.org

ب - ١

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت
ولا حول ولا قوة إلا بالله

(فأتبع سببا)
٢٥/١١/١٤٤٣هـ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .
* وأشهد أن لا إله إلا الله (الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) .
* وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خاتم المرسلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فيا عباد الله / نواصل التطواف مع ذي القرنين ، وهو يطوف في أصقاع الأرض ؛ مقيماً للعدل ، ومقاوماً للظلم ، قال الله تعالى : (ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣))

أي أن ذا القرنين واصل مسيرته الإصلاحية حتى بلغ بين السدين وهما جبلان بينهما مضيق ، ووجد من دونهما قوما لا يفهمون لغة خاصة يصعب على ذي القرنين وتراجمته معرفتها ، ومع ذلك فقد اجتهد حتى تمكن من فهم لغتهم ومخاطبتهم ؛ فإذا هم قوم مستضعفون ، يشتكون إليه من طغيان يأجوج ومأجوج .

(قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤))

فاشتكوا منهم إيذاءهم لقبيلتهم وإفسادهم وعرضوا على ذي القرنين أن يعطوه مالاً عظيماً ، إنه كف عنهم شر أولئك ، لكن ذا القرنين عف عن أخذ أموالهم .

(قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦))

* تأمل دور ذي القرنين في التوجيه وتوزيع المهام وتوحيد الجهود ، وقاموا هم بالعمل والتنفيذ .
* فأمرهم - أولاً - أن يجمعوا قطع الحديد الضخمة ، ويضعوها في المضيق بين الجبلين ، وما زالوا يراكمونها حتى ساووها بالصدفين ، وهما قمتا الجبلين .

almusllim.org

* ثُمَّ أَمَرَهُم بِإِيقَادِ النَّارِ عَلَى قِطَعِ الحَدِيدِ ، وَتَصَوَّرُوا ضَخَامَةَ النَّارِ وَعِظَمَ الأَخْشَابِ الَّتِي جُمِعَتْ لِإِيقَادِ النَّارِ وَصَهْرِ أَطْنَانِ الحَدِيدِ .

* وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَمَرَ مَجْمُوعَةً أُخْرَى بِصَهْرِ القِطْرِ ، وَهُوَ النُّحَاسُ فِي قُدُورٍ ضَخْمَةٍ حَتَّى يُذَابَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِصَبِّهِ عَلَى الحَدِيدِ المُنْصَهِرِ ؛ لِيَتَكَوَّنَ مِنْهُمَا مَعْدِنٌ قَوِيٌّ مَتِينٌ ، فَصَارَ بِأَمْرِ اللَّهِ سَدًّا مَنِيعًا عَجِيبًا .

* فَتَصَوَّرُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - كَمْ مِنْ جُهُودٍ بُذِلَتْ وَطَاقَاتٍ اسْتُثْمِرَتْ فِي هَذَا العَمَلِ العَظِيمِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُعَطَّلَةً مُهْمَلَةً !!

* وَفِي هَذَا دَرْسٌ عَظِيمٌ لَنَا وَلِشَبَابِنَا ، الَّذِينَ أُهْدِرَتْ أَوْقَاتُهُمْ ، وَعُطِّلَتْ طَاقَاتُهُمْ ، أَلَا لِيَةِ النَّجَاحَ الحَقِيقِيَّ فِي تَعْوِيدِ شَبَابِنَا عَلَى العَمَلِ الجَادِّ ، وَالصَّبْرِ وَالاجْتِهَادِ ، فَهَذَا هُوَ خَيْرُ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادٍ .

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ أَيْ : أَنَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ جَاؤُوا عَلَى عَادَتِهِمْ لِيَعْبُرُوا المَضِيقَ ، وَيُمَارِسُوا الإِفْسَادَ ؛ وَلَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا بِالسَّدِّ المَنِيعِ ، حَاوَلُوا أَنْ يَتَسَلَّقُوا فَلَمْ يَقْدِرُوا ، ثُمَّ حَاوَلُوا نَقْبَهُ فَكَانُوا أَعْجَزَ ؛ لِأَنَّهُ أَصْعَبُ وَأَشَقُّ .

* وَفِي خِتَامِ هَذَا الإِنْجَازِ الفَائِقِ وَالنَّجَاحِ البَاهِرِ يَنْظُرُ ذُو القَرْنَيْنِ إِلَى هَذَا العَمَلِ نَظْرَةَ تَوَاضُعٍ لِلَّهِ ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ الكِبْرُ وَالغُرُورُ ، وَلَمْ يَنْسِبْ هَذَا النَّجَاحَ لِنَفْسِهِ ، بَلْ نَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ فَنَسَبَ النِّعْمَةَ إِلَى اللَّهِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

* ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ الكهف .
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِ ذِي القَرْنَيْنِ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ ، وَهَذَا الَّذِي حَجَزَهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ وَالتَّجَبُّرِ ، وَعَنِ الإِفْسَادِ وَالبَغْيِ وَالتَّكَبُّرِ ، وَصَدَقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ القصص .

almusllim.org